الفصل الثالث:

هنا لندن.. مركز تجمع أجهزة المخابرات العالمية!!

obeikandl.com

تلعب مكاتب أجهزة المخابرات العالمية المتواجدة في بريطانيا دوراً مركزياً في ضبط العنف السياسي علي مستوى العالم.. وتتعاون جميعها في ذلك باتفاقات.. وبروتكولات خاصة فيما بينها.. وبما تقوم به من عمليّات تقصّي وتحديد مواقع ومراقبة.. تؤمّن للسلطات معلومات تسمح لها باستباق ظهور الأزمات وتفاقمها.. وبالإطّلاع على استراتيجيّات الآخرين.

لكنّ هذه المكاتب.. وما تمثله من أجهزة لا يقتصر دورها فقط على خدمة القرارات السياسية.. فإن استراتيجيّاتها متعدّدة.. تبدأ بالتجريد العلنيّ لبعض الجماعات من مصداقيّتها.. إلى تخريب أعمالها أو القضاء - نفسياً أو جسدياً في بعض الأحيان - على قادتها.. مروراً بإحباط عزيمة بعض المؤيّدين لها أو إثارة النزاعات الداخلية في صفوفها.. وهكذا.. أصبحت تلك الأجهزة تشكّل محوراً - مستقلا جزئياً - في ممارسة العنف الحكومي.. يكون لأعماله تأثير على استراتيجيّات المجموعات السرّية والسلطات الرسميّة على حدّ سواء.

وبالرغم من تنوع تلك المكاتب.. وما تمثله من توجهات.. ومناهج مخابراتية مختلفة.. إلا أنهم يجتمعون على تخصيص أهمية أساسية لموازين القوى السياسية.. كما أن المبادئ التي يعملون على أساسها تتعارض مع مبادىء عالم القضاء الذي يصبّ اهتمامه بشكل أساسي على ميزان الحق (القانون). فالمهم بالنسبة لهم هو الإبقاء علي النظام الشرعيّ.. والحفاظ عليه.. حتى وإنْ كان بطرق هي نفسها غير شرعية.

الاستخبارات الفرنسية:

فمثلاً فرع المخابرات الفرنسية يكاد يقتصر دوره الأساسي على ما يسمى داخله بمكتب الحرب النفسية.. ومجموعة التحقيقات السرية فيما يتعلق

بالجماعات . . والأقليات العرقية . . والدينية . . أو غيرها من وحدات فاعلة غير معترف بوجودها رسمياً.

وقد علّق " إيف بيرتران " رئيس جهاز المخابرات العامّة الفرنسية بين عامي (١٩٩٢ و٢٠٠٤) . . على مراقبة الخطابات التي تُتلى في المساجد بقوله: "لقد أصبحنا حذرين - بشكل خاص - بعد اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . . لكن الغريب أنّ المسؤولين عن المساجد والمنظّمات استطاعوا التحكّم بجمهورهم . . الأمر الذي لا يطمئننا في كلّ حال. فهذا يعني . . بأنّ المنظّمات تتحكّم جيداً بالجماعة الدينية . . إنّ مراقبة الجماعات الدينية . . وخاصّة أماكن الصلاة والقادة والمنظمات الدّينية . . لم تبدأ فقط بعد الاعتداءات التي استهدفت مركزي التجارة العالمي والبنتاجون . . فهي تشكّل جزءاً من الإجراءات الروتينية في محاربة التجسّس.

وفي فرنسا . . تعود المحطّات الرئيسية في تطوّر الوحدات الاستخباراتية المتخصّصة في الإسلام إلى الثورة الإيرانية . . في العام ١٩٧٩ . . والوضع في الشرق الأوسط والاعتداءات التي قامت بها شبكة فؤاد علي صالح بين عامي (١٩٨٥ و١٩٨٦) وخاصّة حرب الجزائر بعد يونيو ١٩٩١ . . التي أدّت إلى موجة جديدة من الاعتداءات في العام ١٩٩٥. وأدّى الأمر بهذه الوحدات إلى تركيز اهتمامها على نشاط المجموعات الإسلامية المسلحة (خاصّة الجزائريّين) . . من أجل وضع حدّ لنزعتها القيام بأعمال إرهابية على الأرض . . أو لعرقلة العمل اللّوجيستي الذي يتناول هذه المجموعات (من طرق دعائية . . إلى حملات تجنيد . . إلى طرق تمويل . . إلخ) .

الاستخبارات الأسبانية :

يتمثل نشاط هذا المكتب في الدعم المخابراتي للمجموعات التحريرية المعادية للإرهاب . . حيث قامت باغتيال لاجئين من دولة الباسك أتو' إلى فرنسا في نهاية الثمانينات .

مكاتب المخابرات العربية :

معظم هذه المكاتب تهتم في المقام الأول بحماية رموز الحكم فيها حال تواجدهم في أية دولة بأوربا . . ولديها فرق . . وعملاء خاصين بذلك هناك . . وفي نفس الوقت تتتبع أعداء الأنظمة الحاكمة . . اما لتصفيتهم . . أو مراقبتهم عن قرب . . وإبقائهم دائماً تحت السيطرة .

كما تعمل.علي تسخير مجموعة من الكتاب لاسيما من الإسلاميين القدامى أو مجموعات الكتاب الجاهزين للكتابة "على الطلب" في مواجهة التيار السلفي الجهادي . . من خلال إطلاق تسمية التيار التكفيري عليه في محاولة يائسة لعزل هذا التيار ووضعه في مواجهة مباشرة مع المجتمعات العربية .

كما تشترك معظم مكاتب الدول العربية هناك في صفة العمل الفردي . . بعيداً عن روح التعاون . . والتكامل التي تجمع بين باقي مكاتب مخابرات دول أوروبا .

ومن أشهر العمليات التي تم التخطيط لها . . وتنفيذها من خلال بعض المكاتب العربية في لندن عملية (دورة الألعاب الأوليمبية في ميونخ) .

المخابرات البريطانية وعملية الألعاب الأوليمبية في ميونيخ:

أعلنت صحيفة " الألوبزرفر " المخابرات البريطانية أن ألمانيا اعطت عام ١٩٧٢ الضوء الاخضر لخطف طائرة بوينج من قبل منظمة أيلول الاسود الفلسطينية في إطار صفقة لإطلاق سراح ثلاثة من أعضاء هذه المنظمة شاركوا في احتجاز

رياضيين إسرائيليين رهائن خلال الألعاب الأولمبية في ميونيخ .

وكان ثمانية عناصر من منظمة أيلول الأسود الفلسطينية احتجزوا في مطلع سبتمبر عام ١٩٧٢ أحد عشر رياضياً إسرائيلياً رهائن في ميونيخ . . وأدت محاولة الإفراج عن الرهائن إلى مقتلهم جميعا ومقتل خمسة من عناصر المجموعة واعتقال الثلاثة الباقين . ونسبت الصحيفة معلومات عن هذه العملية لجمال الجشي وهو الوحيد الباقي على قيد الحياة من المشاركين في عملية ميونيخ وقد وردت هذه المعلومات في كتاب تزامن صدوره مع عرض فيلم وثائقي عن عملية ميونيخ بعنوان أحد أيام سبتمبر .

ويقول الجشي في الفيلم الوثائقي: إن الحكومة الألمانية أخذت في تلك الفترة على محمل الجد تهديدات منظمة أيلول الأسود بشن حملة إرهابية واسعة لإطلاق سراح الأعضاء الثلاثة في المنظمة المسجونين .

وحسب المعلومات التي قدمها الجشي ونقلتها(الأوبزرفر) فإن الحكومة الألمانية وافقت على إطلاق سراح المعتقلين الثلاثة في إطار صفقة للإفراج عن طائرة مخطوفة شرط ألا يكون بين ركاب هذه الطائرة نساء أو أطفال .

وبالفعل تعرضت طائرة بوينج تابعة لشركة لوفتهانزا الألمانية للخطف بعد إقلاعها من بيروت في التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٢ أي بعد نحو ثمانية أسابيع على حصول عملية ميونيخ وأجبرت على الهبوط في ميونيخ ولم يكن فيها سوى ١١ راكباً جميعهم من الرجال .

وأشارت الأوبزرفر إلى أن المستشار الألماني في تلك الفترة ويلي برانت انصاع بعد ساعات قليلة على وصول الطائرة لمطالب الخاطفين وسلمهم المعتقلين الثلاثة مقابل إطلاق سراح الركاب .

خلافات أوروبية.. مخابراتية:

ومظاهر الخلافات الأوروبية - الأوروبية في مجال التنسيق والتعاون الأمني لمكافحة الإرهاب متعددة.. لا تشذ دولة منها عن الأخرى رغم أن بريطانيا تحتل الموقع الأبرز في رفض أجهزتها التعاون مع دول أخرى في هذا الشأن.. بخلاف أجهزة الأمن الأميركية بطبيعة الحال.

مأمون دركزانلي:

ومنذ مدة ليست بقصيرة تحاول السلطات القضائية في أسبانيا أن تتسلم من ألمانيا رجل أعمال ألمانياً من أصل سوري يدعى مأمون دركزانلي يقيم في مدينة هامبورج.. لمحاكمته مع نحو ٢٤ متهما في عملية قطارات مدريد يمثلون امام القضاء الأسباني.. إلا أن تلك السلطات لم تتمكن من تسليمه لأنه لجأ إلى المحكمة الدستورية العليا الألمانية التي عليها أن تقرر ما إذا كان القرار بتسليمه سيكون فيه خرق للدستور الألماني.. ولا يزال الأمر معلقاً.. والأمثلة على مثل تلك الحالة متعددة ولا يمكن حصرها.

المخابرات الإنجليزية تدشن مشروعها الجديد للتجسس الإلكتروني!!

أكدت الحكومة البريطانية أن جهاز المخابرات الداخلية المعروف باسم (M. I. 5) سوف يقوم ببناء مركز جديد.. يتكلف عشرات الملايين من الجنيهات.. مهمته التجسس على الرسائل الإلكترونية التي يبعث بها المواطنون أو يتلقونها.

ويقول المعارضون للمشروع.. والذي يصفونه بأنه تجسس:

" إن المشروع الجديد يمكنه أن يتجسس على الرسائل الإلكترونية.. ويعرف دائرة أصدقائك ومعارفك.. ويعرف ماذا تأكل وتشرب وتلبس

" . . ويقولون: إن ذلك يعزز الفكرة السائدة في بريطانيا بأن كل المعاملات الخاصة والعامة عن أي مواطن بريطاني مسجلة بالفعل في أكثر من ٢٠٠ مركز معلومات باستخدام الكمبيوتر . . وأن هذه المراكز تتوفر لدى أجهزة الشركة والمخابرات . . والأجهزة الحساسة الأخرى مثل إدارة الضرائب . . وكذلك المصارف والمؤسسات المالية الكبرى .

الشعب البريطاني مراقب على مدار الـ (٢٤) ساعة :

كذلك تحذر المنظمات الحقوقية من الأجواء التي تواكب أساليب المراقبة اليومية للأشخاص . . سواء عبر الهواتف أو حساباتهم المصرفية أو تنقلاتهم في الداخل والخارج . . والتي أصبحت زائدة عن الحد . . وتتعدى حدود المعقول الذي يُثار حول أهمية المحافظة على الأمن القومي . . فهناك في كل شارع في بريطانيا - حاليًا - كاميرات وأجهزة فيديو تسجل كل ما يجري ٢٤ ساعة في اليوم . . وذلك علاوة على استخدام الأقمار الصناعية وغيرها من أجهزة التجسس . . وحتى أجهزة التليفون المحمول لا تسلم من مراقبتها والتجسس على مضمون المكالمات عن طريقها .

مؤسسة "شلتنام" البريطانية تتجسس على العالم أجمع :

وهناك مؤسسة في منطقة شلتنام بجنوب إنجلترا مهمتها التجسس على المكالمات الهاتفية مع العالم كله . . وهي تابعة لجهاز المخابرات الداخلية . . وقد دفع هذا جمعيات حقوق الإنسان للتحذير من أن بريطانيا . . التي تُعد من أرقى الديمقراطيات في العالم أصبحت أكثر الدول التي يخضع فيها المرء لرقابة أجهزة المخابرات الداخلية والخارجية . . والأجهزة الخفية العديدة التي تعمل ليل نهار .

١٢ مليون جنيه إسترليني للتجسس :

وأعلن فيما بعد تفجيرات لندن مباشرةً عن تخصيص مبلغ ١٢ مليون جنيه إسترليني لتحسين عمليات المراقبة وجمع المعلومات الاستخبارية في لندن .

وقال بلانكيت إن تأسيس مركز أوروبي لتحليل معلومات أجهزة المخابرات على نهج مركز التحليل الإرهابي المشترك بالمملكة المتحدة والذي يقوم بتحليل معلومات المخابرات . . ويستشير الوزراء بشأن التهديدات الراهنة . . من شأنه أن يؤدي إلى فرض سيطرة أكثر صرامة على الحدود . . واستخدام جوازات السفر والمعلومات الحيوية . . " وهو ما يجعل من الصعب استخدام هويات مزورة" . . ودعا بلانكيت دول الاتحاد الأوروبي إلي تبني اقتراحه هذا . . وأخذه بعين الاعتبار .

وقالت المتحدثة باسم وزارة الداخلية البريطانية وقتها : إن تخصيص مزيد من الأموال لمكافحة الإرهاب لا يأتي كرد فعل لتفجيرات لندن . . ولكنه لإستكمال عملية التمويل وزيادة العاملين في الخدمات الأمنية .

إنشاء هيئة مركزية للمخابرات الأوربية :

ويذكر للوزير الألماني أنه في أعقاب تفجيرات مدريد في العام الماضي أنه كان أول من دعا لعقد مؤتمر طارئ لوزراء الداخلية والعدل في الاتحاد الأوروبي من أجل الاتفاق على إجراءات عملية للتعاون في مكافحة الإرهاب . . وكانت من بين تلك الإجراءات تشكيل هيئة مركزية للمخابرات الأوروبية على نسق المباحث الفيدرالية الأميركية . . إلا أن الاتفاقات التي تم التوصل إليها ظلت وبدرجة كبيرة حبرا على ورق . . واستمر الصراع بين الدول الأوروبية على اختيار شخص يقود وحدة مكافحة الإرهاب الأوروبية ليتولى دور التنسيق .

المخابرات البريطانية تطلب عملاء.. وعميلات:

أدى إعلان في الصحف البريطانية عن حاجة جهازي الاستخبارات الداخلي (M. I. 5) والخارجي (M. I. 6) لموظفين . . إلى فيضان من آلاف الطلبات . . كما أعلنا عن حاجة الجهازين إلى موظفات جدد لشغل وظيفة عميلات لهذا الجهاز الأمني الخطير .

وذكرت وكالة الخدمات السرية في الإعلان على أنها مؤسسة حكومية يرتبط أفرادها بعلاقات ودودة مع بعضهم البعض . . ولمزيد من التشجيع أكدت الوكالة أن أمومة الموظفة لا تتعارض مع واجبات العمل .

نساء المخابرات:

ويحتوي الموقع الإلكتروني لوكالة الخدمات السرية على قسم خاص يحمل اسم " نساء المخابرات " ويطمئن الموقع النساء المترددات في الالتحاق بالجهاز بأنهن غير مضطرات للعمل متخفيات أو بهويات سرية .

اتهام " توني بلير " بالتصنت على كوفي عنان:

اتهمت إحدى الوزيرات السابقات في حكومة " توني بلير" وتدعى " كلير شورت " على شاشات التلفزيون البريطاني . . الحكومة البريطانية - التي توزرت فيها لمدة ستة أعوام - بالتجسس على السكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان . . والتصنت على مكالماته التليفونية .

ورد عليها " بلير" بقوله: (لا تعليق على مهام وكالات الاستخبارات . . ولا تتوقعوا مني أن أخرج عن تقاليد من سبقوني من سكان داوننج ستريت . . والحق ان دبلوماسيي الأمم المتحدة - من كبيرهم إلى صغيرهم - يعرفون أن التجسس والتصنت هما القاعدة وغيابهما هو الاستثناء)

وكان هدف التصنت هو تسجيل لقاءات مشتركة تمت بين " طارق عزيز " وزير

الخارجية العراقي السابق . . و"كوفي عنان " ثم لقائهما معاً وعدداً من موظفي الأمم المتحدة .

والحقيقة أنه بالفعل تصنت (M. I. 6) على ديبلوماسيي دول في حالة حرب مع بريطانيا . . مثل العراق في عهد صدام . . أو على دول تهدد مصالح لندن . . أمر مشروع قانون في بريطانيا . . ولو أنه موضع جدل في القانون الدولي .

حكاية كاترين دان :

عشية هبوب العاصفة من تصريحات الوزيرة السابقة . . شهدت المحكمة العليا البريطانية قضية جاسوسية أخرى كانت بطلتها كاترين دان . . التي تعمل مترجمة في مركز التصنت الرئيسي التابع للحكومة . . حيث تتصنت بريطانيا على اتصالات العالم . . كاترين تصنتت على طلب من واشنطن . . قبل حرب العراق . . بالتجسس على بعثات ديبلوماسية في الأمم المتحدة . . تشمل معارضين للحرب كفرنسا وروسيا وحلفاء من جيران العراق . . نسخة من فحوى التصنت تسربت لصديقة للمترجمة . . وهي مررتها بدورها من يدٍ . . ليد . . حتى وصلت إلي صحيفة (الأوبزيرفر) التي لم تضيع وقتاً في إحراج الحكومة .

محاكمة كاترين :

فطلب الأمريكيون . . سراً من لندن ضرورة محاكمة كاترين . . وعقابها بشدة . . عرف الصحفيون بالأمر من طرف ثالث تصنت بدوره على محادثات الأمريكيين والبريطانيين حول كاترين دان التي فصلت من الوظيفة وقبض عليها . . ومن ثم تمت محاكمتها .

اختطاف الطائرات:

وفي الوقت الذي تواصل فيه السلطات البريطانية المختصة إجراء التحريات بخصوص من يقف وراء محاولة اختطاف عدد من الطائرات البريطانية والأمريكية المتجهة إلى الولايات المتحدة.. التقى في العاصمة البريطانية لندن وزراء الداخلية في الاتحاد الأوروبى لإجراء مباحثات حول سبل تفعيل جهود بلدانهم في مكافحة الإرهاب الدولى. يشار إلى أن تفجيرات السابع من يوليو ٢٠٠٥، والتى وقعت في العاصمة البريطانية وضعت مسألة مكافحة الإرهاب في صدارة أولويات الاتحاد الأوروبى.. مما دفع المفوضية الأوروبية إلى محاولة إقناع حكومات بلدان الاتحاد الأوروبى بالتخلى عن حقها في الاعتراض على القوانين الأوروبية المشتركة وخاصة تلك المتعلقة بالعدالة الجنائية. ومن أجل تطوير التعاون بين الجهات الأوروبية المختصة في مكافحة الإرهاب.. عين الاتحاد الأوروبى بعد وقوع هجمات مدريد في الحادي عشر من مارس ٢٠٠٤ مفوضاً لمكافحة الإرهاب يأخذ على عاتقه مهمة إلزام الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبى بتبادل المعلومات فيما بينها وتطبيق قوانين الاتحاد الأوروبى بشأن مكافحة الإرهاب الدولى. وفي هذا الشأن يقول مفوض مكافحة الإرهاب غيس دي فريس: إن المسؤولية في تطبيق القوانين الأوروبية المشتركة تقع على عاتق شرطة ومخابرات كل بلد على حدة.. مشيرا إلى أن مهام مفوضية مكافحة الإرهاب التى يترأسها تقتصر على تقديم المعلومات وتنسيقها. وفي حين يشكو المفوض من قلة استعداد أجهزة الشرطة والمخابرات الأوروبية للتنسيق بين بعضها البعض.. يقول المسؤول إن العمل المشترك والتعاون شهدا تحسنا ملموسا بعد الاعتداءات التي تعرضت لها قطارات الأنفاق في العاصمة البريطانية.

مركز لتنسيق وتبادل المعلومات :

كان المطلوب هو تنسيق الجهود الأوروبية من أجل مكافحة الإرهاب ويختص المركز التابع لمفوضية مكافحة الإرهاب في تنسيق وتبادل المعلومات بين أجهزة الشرطة المعنية في البلدان الأوروبية . . وذلك عبر جهاز الشرطة الأوروبى "يورو بول" في بروكسل والنيابة الأوروبية العامة "يورو جوست" في لاهاي . علاوة على ذلك . . تعمل أجهزة مخابرات أمريكية مع نظيراتها الأوروبية في مركز يقع بالقرب من باريس على تحسين سبل التعاون بينها من أجل منع حدوث أعمال إرهابية والتصدي لمنفذيها واعتقالهم . ومن أجل توضيح مدى التفاوت في تطبيق القوانين الأوروبية المشتركة وعدم التزام الجهات الأوروبية المختلفة بها . . نشير هنا إلى أن القوانين المتعلقة بتفتيش المسافرين وحقائبهم وكذلك موظفى المطارات لا تلتزم بها الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبى مائة بالمائة . هذا ما وصلت إليه نتائج فحوصات نظمت في العام الماضي وشملت ٢٩ مطارا في ٢٢ دولة أوروبية .

تصفية . . وعقاب العملاء السابقين :

ومعظم جواسيس (M. I. 5) و(M. I. 6) السابقين الذين تعرضوا للعقاب . . (مثل بيتر رايت . . صاحب كتاب (مهمتهم الخيانة) الذي تناول تصنت المخابرات البريطانية على سفارات بعض الحلفاء . . وديفيد شاييللر وادعاءاته بشأن تمويل المخابرات لاغتيال العقيد معمر القذافي كانت جريمتهم مخالفة قانون المعلومات السرية لعام ١٩٠٢ .

المخابرات المركزية الأمريكية . والمخابرات البريطانية . . ضد العراق :

شهدت الفترة التي سبقت اندلاع الحرب في العراق مواجهة من نوع آخر دارت رحاها في عالم المخابرات المظلم . . وكان طرفاها الرئيسيان هما المخابرات الأميركية

والبريطانية من جهة . . والمخابرات العراقية من الجهة الأخرى . ولأن واشنطن ولندن تعتقدان أن المخابرات العراقية تتواجد في أغلب عواصم العالم تحت غطاء سفارات بغداد في تلك العواصم . . وخلف أقنعة دبلوماسية متعددة . . فقد تحدد ميدان المواجهة منذ وقت مبكر بنطاق السلك الدبلوماسي العراقي خاصة في أوروبا وآسيا . وفيما يلي جولات الحرب .

كانت المخابرات البريطانية والأميركية تأملان من تركيز اهتمامها على السفارات العراقية في بلدان القارتين إلى تحقيق مسلسل من الأهداف التي تحددت بوضوح منذ لحظة البدء . إذ يتعين أولاً تجنيد بعض الدبلوماسيين العراقيين ليصبحوا عيوناً داخل المخابرات العراقية تنقل ما يحدث بداخلها إلى واشنطن ولندن أولاً بأول .

فإذا تعذر ذلك فإن الخيار التالي تحدد في حث من يبدون تبرماً من النظام في بغداد على الانشقاق عن ذلك النظام . . وطلب اللجوء السياسي في أي دولة غربية يختارونها . . إن من شأن كل ذلك أن يوجه لطمة معنوية لبغداد على الصعيد الإعلامي .

* * * * *